توطين الهوية اللغوية وبناء الوعي في فكر محمد البشير الإبراهيمي

Localizing Linguistic Identity and Building Awareness in Muhammad Al-Bashir Al-Ibrahimi's Thought

د. حسين عمر دراوشة

جامعة غزة (فلسطين)

hussien2013333@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/09/24 **تاريخ القبول: 2021/09/28**

ملخص:

يهدف البحث إلى دراسة توطين الهوية اللغوية وبناء الوعي من ناحية تطبيقاتها واستعمالاتها في فكر محمد البشير الإبراهيمي، وذلك من خلال الحديث عن جهود الإمام في التوطين اللغوي ومرجعيات بناء الوعي اللغوي وعلاقته بالهوية في فكره، وبيان آليات هذا التوطين وآفاق بناء الفكر الواعي في ممارسات محمد البشير الإبراهيمي، وسيتمّ عرض ما سبق بالمنهج الوصفي التحليلي، لنصل في الأخير إلى خاتمة البحث وفيها النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: توطين، الهوية اللغوية، بناء، الوعي، الإبراهيمي.

Abstract:

The research aims to study the localization of linguistic identity and build awareness in terms of its applications and uses in the thought of Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi, by talking about the efforts of Imam Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi in linguistic localization, and shedding light on the references of building linguistic awareness and its relationship to identity in the thought of Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi Explaining the mechanisms of linguistic localization and the prospects for building the conscious thought in the practices of Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi, and clarifying the above with the descriptive analytical method, and then the conclusion of the research, including the results and recommendations, and an index of sources and references.

***Keywords*:** Localization, linguistic identity, construction, awareness, Ibrahimi.

مقدمة:

اجتهد علماء اللغة العربية في الحفاظ على سلامة اللغة العربية، ولقد قدّم أفذاذ الجزائر تجارب لغوية تحت وطأة المحتل الفرنسي، فكانت جهودهم كثيرة وكبيرة – تذكر فتشكر– في هذا المضمار، فما فتئوا يواجهون تغريب اللسان بتعريبه فانقلبت المحنة منحة، فيصادفنا الإمام الإبراهيمي بجهوده وآثاره العظيمة التي اتّخذت مناحي متنوعة في سبيل نشر اللغة العربية وعلومها في ظلّ احتدام أوجه الصراع اللغوي وتنوع آفاقه، فقدم الإمام معطيات تنويرية وممارسات استنهاضية حول بناء الفكر الواعي والهوية اللغوية العربية، وله مساهماته الحثيثة في توطين اللغة العربية في نفوس أبناء المجتمعات العربية والإسلامية، فتحدث بحق عن القضايا الشريفة "الدين، اللغة، الوطن"[1]، ومن هنا برزت مشكلة البحث.

مشكلة البحث:

تتمثل في الأسئلة الفرعية الآتية:

ما طبيعة توطين الهوية اللغوية وبناء الوعي في فكر محمد البشير الإبراهيمي؟

وينبثق عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

1. ما جهود الإمام محمد البشير الإبراهيمي في التوطين اللغوي؟
2. ما مرجعيات بناء الوعي اللغوي وعلاقته بالهوية في فكر محمد البشير الإبراهيمي؟
3. ما آليات التوطين اللغوي وآفاق بناء الفكر الواعي في ممارسات محمد البشير الإبراهيمي؟

أهداف البحث: الحديث عن توطين الهوية اللغوية وبناء الوعي في فكر محمد البشير الإبراهيمي، ومعرفة جهود الإمام في التوطين اللغوي، وتسليط الضوء على مرجعيات بناء الوعي اللغوي وعلاقته بالهوية في فكره، وبيان آليات التوطين اللغوي وآفاق بناء الفكر الواعي في ممارسات محمد البشير الإبراهيمي.

أهمية البحث: التعرف على ممارسات الإمام الإبراهيمي التي تتعلق بتوطين الهوية اللغوية وبناء الوعي عند أبناء المجتمعات العربية والإسلامية، والاستفادة من تجربة الإمام في تشكيل الهوية اللغوية وتكوين الفكر الواعي حول مسألة اللغة باعتبارها من المكونات الأساسية التي تقوم عليها هوية المجتمعات، فهي وسيلة للتعبير وصناعة الفكر، وتقديم دراسة جادة جديدة

تربط بين موضوع الهوية والفكر؛ ليتسنى للباحثين والدارسين والجهات ذات العلاقة الاستفادة منها، ونقل قراراتها من دائرة التنظير إلى التطبيق والممارسة.

منهج البحث: يستخدم البحث المنهج الوصفي الاستقرائي القائم على الدراسة والوصف والتحليل والاستنتاج، مع استحضار نماذج تتعلق بتوطين الهوية اللغوية وأداءاتها في بناء الوعي وترسيخ أصوله وفقاً لممارسات محمد البشير الإبراهيمي وأطروحاته؛ بغية تحليل محاور البحث والإلمام بمباحثه؛ بما يعطي تصوراً شاملاً حول الموضوع المطروح وتداولياته.

محاور البحث:

يتكون البحث من المحاور الآتية:

أولاً: جهود الإمام محمد البشير الإبراهيمي في التوطين اللغوي.

ثانياً: مرجعيات بناء الوعي اللغوي وعلاقته بالهوية في فكر محمد البشير الإبراهيمي.

ثالثاً: آليات التوطين اللغوي وآفاق بناء الفكر الواعي في ممارسات محمد البشير الإبراهيمي.

المبحث الأول: جهود الإمام محمد البشير الإبراهيمي في التوطين اللغوي.

بذل الشيخ الإبراهيمي جهوداً عظيمة في مسألة التوطين اللغوي، وقدّم أطروحات تنويرية تتعلق بنشر اللغة العربية وتوطيد دعائمها في المجتمع الجزائري، فإدارة الموقف اللغوي تحت الاستعمار الأعجمي من أبرز نقاط تشكيل الهوية الوطنية عند الجزائريين، فاللغة من محاور بناء الذات وهويتها التي تنتمي إليها، ولكن الاستعمار يسعى دوماً إلى تغريب اللسان وجعله تابعاً له، ويجسد ذلك صراعاً لغوياً تشتدّ وطأته عندما يكون المستعمر ذا سطوة وسيطرة ونفوذ، إذ يقول الإبراهيمي:" كان للاستعمار الفرنسي عند اللسان العربي تِرَاتٌ وطوائل، فهو لا يزال يجهد جهده في محوه واستئصاله من الألسنة، وقد ارتكب جميع الوسائل الموبقة لمحوه من الجزائر"[(2)]، فما قدّمه الإبراهيمي يمثل محوراً أساسياً في بناء الإنسان الجزائري وإعداد شخصيته الحضارية انطلاقاً من الحفاظ على لسانها الناطق الذي تحتفظ به آثارها وسجلها التراكمي عبر الزمان، فالحفاظ على اللسان اللغوي هو حفاظ على الذات.

لقد كانت لجهود الإبراهيمي مع مصلحي الجزائر بالغ الأثر في البناء والتنوير والاستنهاض عند مواجهة الفكر الاستعماري الهدّام الذي يحاول القضاء على هوية الجزائري وفصله عن

أمته التي ينتمي إليها، وأشار إلى ذلك كاردينال؛ بقوله: "إنّ عهد الهلال في الجزائر قد غبر وإن عهد الصليب قد بدأ وسيستمر إلى الأبد"[3]، ويبرهن هذا التصريح على حقيقة الصراع بوجهه العام[4]، وبيان ما يتعرض له القوام اللغوي الجزائري من إقصاء ونشر اللغة الفرنسية وريثة اللاتينية بديلاً عن اللغة العربية؛ إذ يقول الإبراهيمي: "اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبةً ولا دخيلة، بل هي في دارها، وبين حماتها وأنصارها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي، مشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل، ممتدة مع الماضي لأنها دخلتْ هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين ترحل برحيلهم وتقيم بإقامتهم"[5].

ويوحي هذا القول بالمسؤولية اللغوية واجتهاد الإبراهيمي في تدعيم أصولها وتوطينها في نفوس أبناء المجتمع الجزائري، ولا يخلو ذلك من ارتباطات عقائدية ودينية وتاريخية وقومية أثّرت في حركة التنشيط اللغوي العربي في ظلّ مواجهة الفرنسة التي حاول الاستعمار فرضها على الجزائر، فسلوك العوربة اللغوية أخذ حيزاً كبيراً من جهود الإبراهيمي الذي واجه تغريب اللسان بكلّ ما أوتي من قوة معرفية وفكرية وثقافية، وذلك من أجل توطين اللغة العربية وتعزيز الانتماء بها في ضوء انتشار أدوات الهدم اللغوي والثقافي والفكري، ونشر مسببات الانحطاط والسقوط من أجل الظفر بالشعب الجزائري والسيطرة عليه والتحكم فيه، وإيجاد هوية مصطنعة نابعة من تعاليم الاستعمار التي يحاول نشرها، فواجه الإمام الإبراهيمي محاولات الطمس والتشويه اللغوي، وأرشد الجزائريين للتصدي لكيد الطاغين والثبات في وجه آلات السحق والنفي في المجالات الحياتية كافةً.

تفطن الإمام الإبراهيمي لأهمية التوطين اللغوي الذي يثبّت الجزائريين بأرضهم، ويقوّي وشائج القربى مع محيطهم العربي والإسلامي، فالتأصيل التفاعلي لعملية التوطين اللغوي وما تشتمل عليه مادتها من خصوصيته تبيّن فصاحة اللسان العربي وقوته، يسهم في تعزيز الصمود ودعم أسس التحدي مع قوى الاستكبار، ويرافق ذلك أنشطة هادفة تكفّل بها الإمام الإبراهيمي من خلال مشاركاته مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي كان لها دور بارز في جمع الأصول اللغوية وتطبيقاتها وترسيخها في نفوس أبناء الشعب الجزائري وكوّن ذلك جبهة لغوية قوية في عملية التواصل الحضاري ومشكّلاته.

وتنوعت الجهود الرامية إلى التوطين اللغوي فيما بذله الإبراهيمي، فاشتملت على النشاط اللغوي المباشر بالكلمة المنطوقة، وبيان مكانة اللغة العربية ودورها التاريخي في إحياء الأمة والارتقاء بحاضرها ورسم ملامح مستقبلها، وشق الطريق عبر اللغة نحو صناعة الشخصية الحضارية المستقبلية، وكلّ ذلك توّجه الإمام بالمشاركة الميدانية على مستوى الجزائر وبلدان الأمة العربية والإسلامية، فكان الإبراهيمي صاحب رأي ومشورة، فترك بصمات عبر تقاريره الشاملة التي قدّمها من خلال أنشطة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

بذل الإبراهيمي جهوداً على صعيد الكلمة المكتوبة في مقالاته المستقلة وبالأخص مقالاته المجموعة تحت عنوان "عيون البصائر"، والتي اشتملت على ممارسات توعوية ذات أبعاد لغوية تنويرية تسهم في حيوية التفاعل اللغوي في سياق الاستعمالات المختلفة، فأبرز هذا الكتاب عبقرية الإبراهيمي في شؤون الإصلاح المختلفة، فهو يعدّ وعاء يغترف منه كلّ راغب في معرفة مظاهر الإصلاح في أدب هذا المفكّر الفذ، فمارس الإبراهيمي الكتابة الفصيحة ذات التأثير البلاغي(6)، فقدّم كثيراً من المشاركات في المجامع اللغوية العربية وفي المؤتمرات العلمية التي تستعرض اللغة العربية بمنهجية علمية، وتعالج قضايا راهنة تسهم في تنمية الدرس اللغوي العربي وترتقي به، فعملية الاستنهاض اللغوي عند الإمام الإبراهيمي لها مجرياتها التي ساهمت في إجراء تحولات لغوية عميقة في ظلّ محاولات الطمس والتذويب التي تعرض لها الشعب الجزائري، فهذه التحولات نشرت الوعي اللغوي بشكل تطبيقي متفاعل يُراعي الحاجات الراهنة وما تحمله في فحواها، وتُلبي تطلعات اللغة العربية في المستقبل؛ أي تترجم ما هو مأمول؛ إذ يقول في خطابه الجماعي: "أيها الإخوة: إنّ أسرة المجمع أصبحت أسرة عربية لا تخالطها عجمة، ولا يطرق ساحتها دخيل، ولا يداخل نسبتها إقراف ولا هجنة، فلنعمل للغتنا بأنفسنا، ولنسكب عليها عصارة أرواحنا ولنضاعف جهودنا، ولنشدد حيازيمنا، ولنشحذ عزائمنا، ولنوجه كلّ قوانا لخدمتها والذب عن حرماتها، ولنعلم أنّه إن أصابها سوء ونحن عصبة إنا إذن لخاسرون، ولسنا لعدنان ولا لقحطان إن سيمت العربية ضيمًا ونحن حماة ثغورها، ولعلّ إخواني الأعضاء الجدد يشاركونني في اليقين بأنكم ما أوليتمونا شرف العضوية بهذا المجمع للراحة ولين المهاد، وإنما لنتحمل بهذه العضوية أعباء تستدعي سهر العيون وإنضاء العقول والقرائح ومتاعب التنقيب على ما أودع الأسلاف في هذه الأسفار من كنوز، فلنوطن أنفسنا على ذلك كله برضى واطمئنان، وإنها لصفقة

رابحة"[7]، ينم ذلك على المسؤولية الجماعية تجاه اللغة العربية، فلا يمكن أن تكون اللغة أداة اتصال تفاعلية لمجمل الأفكار والمعاني إلَّا بانغماسها قي هوية الناطق بها وانبثاقها منها[8].

المبحث الثاني: مرجعيات بناء الوعي اللغوي وعلاقته بالهوية في فكر الإبراهيمي

تتمثل مرجعيات بناء الوعي اللغوي وارتباطاتها بالهوية في الممارسات الفكرية عند الإمام الإبراهيمي في الدعوة الصريحة المدفوعة بالمنطق السليم الذي يتوافق مع الحاجة الملحة في تلك الحقبة التاريخية على قيام الإبراهيمي بالتأكيد على أهمية اللسان الناطق والكنز اللغوي في بناء الوعي اللغوي وفتح آفاق رحبة أمام اللغة العربية وتعزيز تواجدها في مختلف الأنشطة والمقولات والدروس وبالأخص في ظلّ وجود الاستعمار؛ إذ يقول الإبراهيمي: "تعتبر اللغة العربية رسمية مثل اللغة الفرنسية، وتُكتب بها مع الفرنسية جميع المناشير الرسمية وتعامل صحافتها مثل الصحافة الفرنسية، وتعطى الحرية في تعليمها في المدارس الحرّة مثل اللغة الفرنسية"[9]، يتّضح أنّ التصريح المنطقي في الاعتزاز باللغة العربية في العمل الرسمي عبر الدوائر المختصة يسهم في توطين اللغة العربية وفاعلية تطبيقاتها بدعم من القرار الرسمي الصادر عن سياسة الدولة العليا في إلزامية اللغة العربية في كلّ الخطابات عبر المؤسسات الرسمية، فالحديث عن الاستعمال الرسمي والإدارة اللغوية للإعلام وحرية إتقان اللغة العربية واكتسابها يمثل مرجعيات تطبيقية في دعم التوطين اللغوي واتّساع آفاقه، في ظلّ إقرار اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية للبلاد بعد أن كانت اللغة العربية هي لغة البلاد الإدارية والقضائية والتعليمية؛ فتطلب ذلك موقفاً سياسياً واضحاً[10].

الارتكاز على البعد القومي والتاريخي في دعوته للحفاظ على اللغة العربية وإحياء أصولها عند مواجهة لغة الاستعمار التي تصارع اللغة العربية الأم في البلدان التي تستحلها قوى الظلم والاستكبار، فلا يمكن أن تنفصل اللغة العربية عن دعائم الأمة العربية والإسلامية ومشكِّلاتها على مر الزمان، ومن هذا المنطلق يؤكد الإبراهيمي ذلك بقوله: "وقامت اللغة العربية ببيانها على أكمل وجه، وكانت الأمة المدخرة لتشييد هذه الحضارة التي نسمّيها بحق الحضارة الإسلامية هي الأمة العربية"[11]، لقد ربط الإبراهيمي اللغة العربية بحضارة الأمة العربية والإسلامية، ويوحي ذلك بعمق ارتباط اللغة في بناء الحضارة التي تنطلق من التوطين اللغوي في نفوس أبناء المجتمع.

وتعتبر اللغة العربية وسيلة التعبير الأولى، فهي كامنة في نفوس أبناء المجتمعات العربية والإسلامية، ويرى الإمام الإبراهيمي أنّ اللغة العربية تمثل "ترجمانًا صادقًا لكثير من الحضارات المتعاقبة التي شادها العرب بجزيرتهم، وفي أوضاع هذه اللغة إلى الآن من آثار تلك الحضارات بقايا وعليها من رونقها سمات، وفي هذه اللغة من المزايا التي يعز نظيرها في لغات البشر الاتّساع في التعبير عن الوجدانيات، والوجدان أساس الحضارات والعلوم كلها"[12] فهذا الربط بين اللغة العربية وما بها من مفردات وتراكيب وتعبيرات وبين التعبير الوجداني والانفعالي وما تحمله من مشاعر وأحاسيس، يمثل ارتباطاً حيوياً مرتكزاً على حياة اللغة العربية وتوطينها في نفوس أبناء الأمة عبر التاريخ والزمن، فالترابط بين اللغة وتعابيراتها النفسية والوجدانية يعدّ من المرجعيات الضرورية في بناء الوعي اللغوي وتثبيت دعائم اللغة العربية في نفوس أبناء المجتمعات.

تمثل اللغة العربية أساساً من أساسيات بناء المدنية والحضارة، ويعدّ ذلك ربطاً فكرياً منهجياً في توطيد مرتكزات الوعي اللغوي وتثبيته وتوطينه عند أبناء المجتمع الناطق باللغة العربية، فاللغة العربية هي تراث إنساني خالد يحفظ تراكمات الزمن بمختلف اختصاصها وتوثق جهود البشر في عملية البناء والاستنهاض، إذ يقول الإبراهيمي: "وهذه المدنية التي تردّد لفظها الألسن ويصطلح المؤرّخون على نسبتها إلى أمم مختلفة ويميّزون بينها بطوابع خاصة ويشتدّ المتعصّبون في احتكارها لأمة دون أمة كأنها خلقت معها أو كأنها ذاتية لها هي في الحقيقة تراث إنساني تسلّمه أمة إلى أمة وتأخذه أمّة عن أمّة فتزيد فيه أو تنقص منه بحسب ما يتهيأ لها من وسائل وما يؤثر فيها من عوامل، وخير الأمم وأوفاها للمدنية هي الأمّة التي تقوي الجهات الصالحة في المدنية وتكمل النقائص الظاهرة فيها، وتسعى في نشرها وإشراك الناس كلهم في خيراتها ومنافعها، وخير اللغات ما كانت لسانًا مبينًا للمدنية تسهّل على الناس سبيلها وتمهّد لهم مقيلها"[13]، إنّ الجانب التفاعلي للغة العربية في بنائها الشمولي للمدنية والحضارة من المرجعيات المهمة في النهوض اللغوي والارتقاء بها في ظلّ متغيرات العصور وحاجاتها ومتطلباتها للرقي والتقدم.

الاتصال الوثيق بين اللغة العربية وبين انتشار الإسلام وبناء الأمة؛ لأنّ اللغة من أساسيات الوجود ومن مرجعيات تشييد الحضارات في المجتمعات البشرية؛ فيساعد ذلك

على بناء الوعي اللغوي التفاعلي؛ يقول الإمام الإبراهيمي:" فلما أقام الإسلامُ بهذا الشمال الأفريقي إقامةَ الأبد وضربَ بجرانه فيه أقامتْ معه العربية لا تريم ولا تبرَح، ما دام الإسلام مقيمًا لا يتزحزح، ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس، وتنساغ في الألسنة واللهوات وتنساب بين الشفاه والأفواه. يريدها طيبًا وعذوبة أن القرآن بها يُتلى، وأنّ الصلوات بها تبدأ وتُختم، فما مضى عليها جيل أو جيلان حتى اتسعتْ دائرتها، وخالطت الحواس والشواعر، وجاوزت الإبانة عن الدين إلى الإبانة عن الدنيا، فأصبحت لغة دين ودنيا معًا وجاء دور القلم والتدوين فدوّنت بها علوم الإسلام وآدابه وفلسفته وروحانيته"[14].

هذه الشمولية الحقيقة للاستعمال اللغوي عند أمة العرب والإسلام من الجوانب التفاعلية للمعرفة اللغوية التي تبني الفكر الواعي بين أبناء مجتمعات الأمة، فيغرس في النفوس محبة اللغة في تلبيتها لحاجات النفس وتطلعاتها وما تطمح إلى تحقيقه ونيله، ويعدّ ذلك من أسس المواطنة الصالحة التي هي في منظوم الإمام الإبراهيمي ما كانت محكومة بدين الإسلام لا حاكمة عليه[15].

ويعدُّ إحياء اللسان العربي الفصيح من المهمات الأساسية في الجهود التي بذلها الإمام الإبراهيمي من خلال أنشطة جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، والتي كان شعارها "الإسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني"[16]، فتجديد الشرعية اللغوية للسان العربي في ضوء التحديات الراهنة من المرجعيات الضرورية والحتمية التي ركز عليها الإبراهيمي، علاوة على ربطها بنواحٍ دينية ونفسية ووجدانية وتاريخية واجتماعية، فيعزز من الأبعاد التطبيقية في الفكر اللغوي الواعي؛ إذ يقول: "أمَّا إحياء مجد اللسان العربي فلأنه لسان هذا الدين والمترجم عن أسراره ومكنوناته؛ لأنّه لسان القرآن الذي هو مستودع الهداية الإلهية العامة للبشر كلهم، لأنّه لسان محمد بن عبد الله (ﷺ) صفوة الله من خلقه، والمثل الأعلى لهذا النوع الإنساني الذي هو أشرف مخلوقات الله، ولأنه لسان تاريخ هذا الدين ومُجَلّي مواقع العبر منه، ولأنه قبل ذلك وبعد ذلك لسان أمة شغلت حيّزًا من التاريخ بفطرتها وآدابها وأخلاقها وحكمها وأطوارها وتصاريفها في الحياة، ودولها في الدول، وخيالها اللامع الخاطف الذي هو أساس فنّها وآرائها في عالمي الكون والفساد"[17].

ويدلل هذا القول على محورية اللسان في بناء الفكر الواعي وتنميته، وينعكس ذلك على القيمة الحقيقية للغة العربية وأساسياتها في التعامل المجتمعي وتفاعلاتها من منظور حضاري، وهو ما يسهم في بناء الشخصية الإنسانية المتفاعلة التي تدرك جوهر الأمور وتمثلاتها في الجهد الإنساني العالمي، ويترك ذلك بصمة واضحة في الثقافة العربية والإسلامية أمام أبناء الأجيال المتعاقبة.

ونبّه الإبراهيمي على ضرورة الحرص الشديد في الحفاظ على سلامة اللسان العربي من الضياع أو الانقطاع عنه أمام موجات الصراع اللغوي الذي تشهده ساحات العالم العربي والإسلامي، ومزاحمة اللغات الأخرى للغة العربية في عقر دارها، فأطلق الإبراهيمي إرشاداته وتعليماته التي تنم عن عمق الوعي اللغوي وأهمية توطينه في نفوس أبناء المجتمع؛ إذ يقول: "وكلّكم يعلم أنّ هذا اللسان ضاع من بيننا فأضعنا بضياعه كلّ ذلك التراث الغالي النفيس من دين وتاريخ، وأنّ اللغة هي المقوّم الأكبر من مقوّمات الاجتماع البشري، وما من أمة أضاعت لغتها إلا وأضاعت وجودها، واستتبع ضياع اللغة ضياع المقوّمات الأخرى"[18].

إنّ الحفاظ على القوام اللغوي من الضروريات الحتمية والمرجعيات الأساسية التي أشاد بها الإمام الإبراهيمي وركز عليها من أجل توطيد دعائم اللغة العربية والسعي إلى تفعيل دوائر تأثيراتها في سلوك أبناء المجتمعات العربية والإسلامية، والعمل الجاد على تكثيف مضمونها الحضاري الذي يحمل أبعاد إنسانية تسهم في التفاعل بين أبناء البشر.

ويحث الإمام الإبراهيمي على السعي الدؤوب وتكثيف الأنشطة في سبيل تحقيق التنمية اللغوية والارتقاء باللسان العربي، وينم ذلك عن عمق المسؤولية اللغوية التي تعزز هوية الناطق باللغة العربية وتضمن تفاعله الفكري الواعي مع مختلف المفاهيم والمعطيات والأطروحات؛ إذ يقول: "إنّ اللغة العربية كالدين يحملها من كلّ خلف عدوله، لينفوا عنها تحريف الغالين، وزيغ المبطلين، وانتحال المؤولين، وأنتم أولئك العدول، فانفوا بجد وإخلاص عن هذه اللغة زيغ المبطلين من هذا الجيل الذين أصبحوا يتنكرون لهذه اللغة ويعفرون في وجهها، وقد فاتهم أن يحصلوا منها على طائل، فأصبحوا يرمونها بالعقم والجمود، وعدم المسايرة لركب الحضارة، ويرتضخون لكنة، لا هي بالعربية ولا هي بالصالحة لأن تخلف

العربية ويتمردون على البيان العربي، وعلى مناحي الشعر العربي، وعروضه وقافيته ورويه ويلوون ألسنتهم بالسوء في ذلك كله"[19]، يمثل هذا القول نبرة استنهاضية وصرخة حضارية للمخلصين من أبناء الأمة العربية والإسلامية في ضرورة الاعتزاز باللسان العربي والاعتزاز به وعدم الانسلاخ منه في ظلّ تعدد اللغات، فينظر الإمام الإبراهيمي للغة العربية على أنها لغة نامية متطورة تفي بحاجات العصر، وهي ليست جامدة بأيّ حال من الأحوال، ويذكرنا ذلك بقول شاعر النيل حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربية[20]:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ... ونواديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب، وليتني ... عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت ولما لم أجد لعرائسي ... رجالًا وأكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظًا وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
فيا ويحكم أبلي وتبلى محاسني ... ومنكم وإن عزّ الدواء أساتي
فلا تكلوني للزمان فإنني ... أخاف عليكم أن تحين وفاتي
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعة ... وكم عز أقوام بعز لغات

فهذا الطرح الواعي الذي يشير إلى خصوبة اللغة العربية واتّساعها لتلبية الحاجات اللغوية الراهنة والمستقبلية القديمة والجديدة؛ ويعدّ هذا التوجه اللغوي من المرجعيات الأساسية لتعزيز هوية الأجيال والبرهنة على تفاعلاتها مع حاجات الأمة وتطلعاتها؛ لأنّ هدف الاستعمار خلق جيل لا دين له ولا هوية له توثقه بماضيه وحاضره ومستقبله[21].

وتحدث الإبراهيمي عن منطلقات فكرية مختلفة في سياقات معرفية لها مضامينها اللغوية المتنوعة في شتى حقول الآداب والمعارف والفنون والعلوم، وينم ذلك على سعة الثقافة الخصبة والاطلاع الواسع الذي يسهم في تعميق الفهم وتوسيع المدارك اللغوية في عملية بناء الهوية الإنسانية الصحيحة وتشييد أحد أهم أركانها ألا وهي اللغة التي تتفاعل مع غيرها من مكونات الهوية العربية والإسلامية؛ مما ينتج شخصية حضارية متفاعلة تنطلق من لسان عربي قويم يفي بحاجات الحاضر ويترجم تطلعات المستقبل، ولا ينعتق من ماضيه

ولا ينسلخ عن تراثه إنما يعتز به، إذ يقول في كلمته لمجمع اللغة القاهري عام 12 مارس (1962م): "وستلتحق الجزائر بالركب العربي عن قريب، وسيخرج من أجيال المغرب العربي عُفارٌ لهذا المجمع، وحماة لهذه اللغة الشريفة"[(22)]، فالواضح أنّ من أعظم مرجعيات الفكر اللغوي الواعي عند الإبراهيمي الاعتماد الكبير على التراث العربي والإسلامي في طرحه الفكري والمنهجي فيما يختص بالرقي اللغوي، ويدلل ذلك على العمق الاستراتيجي الواعي في سبيل رسم طرق الارتقاء وطرح سنن التغيير اللغوي وإدارته بشكل واعٍ أمام التحديات الكبيرة التي تواجه اللسان العربي.

المبحث الثالث: آليات التوطين اللغوي وآفاق بناء الفكر الواعي في ممارسات الإبراهيمي

اهتم الإمام الإبراهيمي بآليات التوطين اللغوي الميدانية عبر المتابعة الحثيثة والكلمة الصادقة على المنابر الحرة، فهو يتحرك في ظلّ وجود مستعمر يطارد ويلاحق رواد الإصلاح ومن تجشم عناء التغيير من أجل رسم هوية أبناء المجتمع الجزائري المسلم، ومجابهة ممارسات المستعمر الفرنسي الغاصب، وكانت جهود الإمام الإبراهيمي نبراساً يرشد أبناء الأمة للمنهج القويم الذي يحقق الرقي والتقدم، فربط الإبراهيمي بين الدين الإسلامي واللغة، وفي ذلك إشارة قوية للتوطين والانتماء الحقيقي للأمة وبناء فكرها الحر والواعي على أساس لغوي متين؛ لأنّ العاطفة الدينية تمثل معتقداً راسخاً في قلوب أبناء الأمة العربية والإسلامية وأذهانهم وطرق تفكيرهم؛ إذ يقول: "ويأبى لكم الله والإسلام أن تضيعوا لغة كتاب الله ولغة الإسلام، يأبى لكم الله إلّا أن ترجعوا إليها لا لتحيوها، بل لتحيوا بها الفضيلة الإسلامية في نفوسكم ولتحيوا بها الحياة التي يريدها الله منكم، فجمعيتكم– بعون الله وبفضل هممكم– تركب لهاتين الغايتين من الوسائل كل ممكن، فمن محاضرات ودروس عامّة إلى دروس خاصّة إلى تنشيط وإرشاد لهذين، وهي تعتمد في الإعانة على القيام بهذا العهد الذي قطعته على نفسها– بعد الله– على كلّ من يصله صوتها من أبناء هذه الأمة، وهي تعتقد أنها لا تستغني عن الإعانة من أنصارها مهما قلّت، وأنها لا تستغني عن حنكة الشيب وتجاربهم، ولا عن اعتدال الكهول وحكمتهم ولا عن نشاط الشبّان وفتوّتهم، وإنّ تكافل هذه القوى الثلاث سيخرج للأمة الجزائرية جيلًا مزودًا بالإسلام الصحيح وهدايته والبيان العربي وبلاغته، عارفًا بقيمة الحياة سبّاقًا في ميادينها متحليًا بالفضائل عزوفًا عن

الرذائل، عارفًا بما له وما عليه واقفًا في مستقرّ الحقيقة الواقع، لا في ملعب الخيال الطائر"[23]، ويوحي ذلك بعمق المضمون والدلالة التي تحملها اللغة العربية وتنقلها للأجيال اللاحقة، ويسهم ذلك في البناء الحضاري الواعي ويشجع الممارسات الراقية لأبناء الأمة ويهذب سلوكهم عبر منظومة القيمة التي تدعم أساس التفاعل والإدراك لمجريات الأمور في الأوضاع الرّاهنة والتطلعات المستقبلية؛ إذ تمثل اللغة أداة تفاعلية من أجل تلبية الحاجات والرغبات وتحقيق التطلعات وترجمة الطموحات، فإدارة الواقع اللغوي تحقق منجزات آنية ومستقبلية ترتقي بالمجتمع الذي يمتلك اللغة المنضبطة، فكلما كانت اللغة أكثر انضباطاً كانت الأفكار والمفاهيم والمصطلحات أكثر دقةً واتّساعاً، وكلما كانت اللغة مشوهة وضعيفة حتماً تكون المعطيات منحرفة وغير منضبطة ومنتوجاتها ضعيفة وفي الغالب منعكسة.

ضرورة الإعداد اللغوي التفاعلي والإتقان الماهر لأساسيات اللغة العربية ومعطياتها من أجل التعامل الصحيح مع مختلف الإنتاجات المعرفية والمضامين العلمية، فاللغة العربية من أسس النهضة والتطور العلمي، والذي من مميزاته إتقان اللغة العربية علمًا وتعليمًا، وإجادتها تكلّمًا وكتابة وخطابة، فيقول الإبراهيمي: "فقد قامت هذه النهضة على ألسنة تنثر الدرّ من العلم، وألسنة تنفث السحر من البيان وأقلام تسيل رحمة في مواطن الرحمة، وتمجّ السمام أو تنثر السهام في مواطن الغضب للحق والذود عن الحق"[24].

فهذا القول البياني يوطد دعائم التوطين اللغوي في الفخر بالانتماء اللغوي وما تحمله اللغة من مضامين ومحاور وأفكار عظيمة فلولا عظمة الوسيلة اللغوية لما حملت الأشياء العظيمة، ويؤكد من منحى آخر على شمولية التعبير اللغوي واحتوائه على الفكر والعاطفة في التمثيل والتجسيد والتصور حول طبيعة ما يبيّنه.

ويعدّ الاهتمام والاعتناء باللغة العربية من أساسيات فهم الذات، فلا فهم بدون تقدّم، فكيف يمكن التعامل والتوجيه بدون إجادة المضمون وإتقان المراد من أجل ترجمته ونقله من واقع التنظير إلى التطبيق والممارسة، فالإبراهيمي لم يمحُ الآخر ولغته إنما دعا إلى عدم مزاحمة اللغات الأخرى للغة العربية في جميع أحوالها، فهو لم ينفِ ما تقدّمه اللغات الأعجمية إنما دعوته خالصة للتمسك باللغة العربية وما يفيدها ويكسبها المنعة والقوة؛ إذ

يقول: "ينبغي أن نفهم نحن ويفهم أبناؤنا أنّ اللغة العربية هي رأس المال الذي تجب المحافظة عليه، وأنّ اللغات الأجنبية هي ربح فلا تعطى من العناية ولا من الوقت إلّا ما لا يزاحم لغتنا الأصيلة، ولا يبتليها بالضعف، ولا يمسّ قدسيتها عندنا"[25]، ويعدّ هذا التصريح من أساسيات الانتماء اللغوي ومن دعائم توطين الهوية اللغوية بفكر واعٍ وممارسات حيّة تخدم الدرس اللغوي وترتقي به في ظلّ المتغيرات التي تشهدها الساحة اللغوية.

ويستقرئ الإبراهيمي جهود القدماء ويستحضرها في عملية التوطين اللغوي، فهو يشيد بما قدّمه أهل اللغة العربية ونشروه بين الأمم بلغتهم الغنية التي تزخر بسيل عرم من المفردات والتعابير والتراكيب التي توحي بأنّ اللغة العربية لغة حضارة ومدنية وعمران، فهي تشيّد لحضارة إنسانية سامية ترتقي بسلوك البشر وتهذب طبائعهم ولم تنفِ رغباتهم وحاجاتهم، فيقول الإبراهيمي: "لو لم تكن اللغة العربية لغة مدنية وعمران، ولو لم تكن لغة متّسعة الآفاق غنية بالمفردات والتراكيب، لما استطاع أسلافكم أن ينقلوا إليها علوم اليونان وآداب فارس والهند، وَلَأَلْزَمَتْهُم الحاجة إلى تلك العلوم تعليم تلك اللغات، ولو فعلوا لأصبحوا عربًا بعقول فارسية وأدمغة يونانية، ولو وقع ذلك لتغير مجرى التاريخ الإسلامي برمّته، لو لم تكن اللغة العربية لغة عالمية لما وسعت علوم العالم، وما العالم إذ ذاك إلا هذه الأمم التي نقل عنها المسلمون"[26]، فاللغة العربية لغة عالمية تمتلك من الأدوات والوسائل ما يجعلها تنقل الحضارة الإنسانية للأجيال وتترك فيها بصمات عربية وإسلامية خالصة ويسهم ذلك في تنشيط الواقع اللغوي ويرتقي به من منطلق قومي وتاريخي يوثق اللغة في نفوس أبناء المجتمعات، فما كتبه الإمام الإبراهيمي أكبر دليل وبرهان على الفكر والقراءة العميقة المثمرة وتتبع مجريات الأمور وحيثيات الوقائع والأحداث[27].

اعتمد الإبراهيمي آلية العوربة كتيار فكري ومنهجي في التعامل مع المعارف والعلوم التي ينتجها أهل الأمم الأخرى، فيسهم تيار العوربة الذي تمثله حركة النقل والترجمة والتعريب على توطين اللغة والمساهمة في الاستقلال اللغوي بشكل نوعي يرسم ملامح الشخصية الحضارية لأمة العرب والمسلمين؛ إذ يقول: "التعريب نوعان: نوع جزئي ونوع كلّي، فالتعريب الجزئي هو تعريب الألسنة والأقلام وآثارهما من خطابة وكتابة، ويدخل فيه

تعريب الدروس التعليمية، والثاني يشمل هذا، ويشمل التخلّق بأخلاق العرب والتحلّي بكل ما اشتهر عنهم من محامد وفضائل، ويظهر مما وصلني من جدول أعمالكم أنكم تقصدون الأوّل، فلنجرِ معكم في هذا العنان، ولنعرّب ما استطعنا من الألفاظ، والمصطلحات والتعليم، وكتبه، وأساليبه، ولغته، ولننقح على قدر الإمكان، ولنكل بقية التصفية والغربلة للزمن، فإننا اليوم في وقت ضرورة تتقاضانا الاستعجال في كل شيء، وليس المستعجل كالمتأني، ولنطهر لغتنا من أوضار الاستعمار ولغاته، ولا ندع أجيالنا الناشئة تنشأ على اعتقاد ناقص في لغتها، بل نتحيّل لها في جلب معاني الاعتزاز بها، ونغرس فيها معاني التمجيد لها"[28].

إنّ تيار العوربة من الآليات المحورية في عملية بناء الفكر اللغوي الواعي وتدعيم أسس الهوية اللغوية وتوطينها في نفوس المتعلمين، والتعامل مع المعرفة الأجنبية بشكل واعٍ وأخذ ما يتوافق مع الثقافة اللغوية ومضامينها العربية والإسلامية، فمعرفة ما يمتلكه الغير من المقومات الضرورية؛ لتحقيق التقدم المأمول، ومعرفة آخر ما توصل إليه الآخرون لكي يستكمل البناء المعرفي الإنساني، ويعمّ الخير على الجميع من منطلق المحافظة على الكينونة والهوية ومجابهة تذويبها مع تيار العولمة، فالتعريب يوازي التغريب الذي تنشده قوى الاستعمار في تحقيق رغباتها الجموحة من أجل قطع لسان الجزائر العربي عن ماضيه وحاضره؛ مما يضمن جهله في المستقبل، ولكن نباهة المخلصين من أمثال الإبراهيمي حالت دون ذلك، وردت كيد الطاغين إلى نحرهم.

التأكيد على عالمية اللغة نظراً لما تمتلكه من مقومات تفاعلية في البناء اللغوي في مختلف مستوياته ومشكّلاته وشكله ومضمونه، فلم تكن اللغة العربية العداء للغات الأخرى بل أثرت فيها وتأثرت بها، فاقترضت منها كثير من الألفاظ واستقبلت كماً وافراً من المفاهيم والمصطلحات والأساليب التي استقبلتها اللغة العربية بكلّ رحابة وسعة، إذ يقول: "قامت اللغة العربية في أقلّ من نصف قرن بترجمة علوم هذه الأمم ونُظمها الاجتماعية وآدابها فوعت الفلسفة بجميع فروعها، والرياضيات بجميع أصنافها، والطب والهندسة والآداب والاجتماع، وهذه هي العلوم التي تقوم عليها الحضارة العقلية في الأمم الغابرة والحاضرة

وهذا هو التراث العقلي المشاع الذي لا يزال يأخذه الأخير عن الأول، وهذا هو الجزء الضروري في الحياة الذي إمّا أن تنقله إليك فيكون قوّة فيك، وإمّا أنْ تنتقل إليه في لغة غيرك فتكون قوة لغيرك. وقد تفطن أسلافنا لهذه الدقيقة فنقلوا العلم ولم ينتقلوا إليه. وقد قامت لغتهم بحفظ هذا الجزء الضروري من الضياع بانتشاله من أيدي الغوائل وبنقله إلى الأواخر عن الأوائل، وبذلك طوّقت العالم منة لا يقوم بها الشكر، ولولا العربية لضاع على العالم خير كثير"[(29)].

إنّ التعدد المعرفي للغة العربية – كما يرى الإبراهيمي– عبر تيار الترجمة والتعريب من الآليات الضرورية التي لها آثارها في الدرس اللساني العربي، ويعدّ ذلك حجر الزاوية التفاعلي في معرفة إنتاج الآخر والانفتاح عليه في تيار واعٍ يضمن معرفة المقومات التي تمتلكها اللغة العربية ويفعل دوائرها التخصصية من خلال التلاقح المعرفي والتلاقي العلمي، بالإضافة إلى تحقيق التجديد واستثمار المعطيات التخصصية كافةً في خدمة لغتنا الجميلة وتنميتها والارتقاء بها في سلم اللغات الإنسانية بما يُؤكد على عالميتها.

البرهنة على سمة عالمية اللغة العربية وأمميتها في ظلّ تعدد اللغات الإنسانية على مستوى البشرية جمعاء، ويمثل ذلك آلية تفاعلية لتوطين اللغة العربية وبناء الوعي الشمولي بها؛ نظراً لما تمتلكه من مقومات رئيسة في إدارة المضامين والمحاور والمكونات كافةً في هيكلية الحضارة ونشأتها عند أمة العرب والمسلمين؛ إذ يقول الإمام الإبراهيمي: "إنّ كثيرًا من العلوم التي بنيت عليها الحضارة الغربية لم تصلها إلَّا على طريق اللغة العربية بإجماع الباحثين منا ومنهم، وإنّ المنصفين منهم ليعترفوا للغة العربية بهذا الفضل على العلم والمدنية ويوفونها حقّها من التمجيد والاحترام، ويعترفون لعلماء الإسلام بأنهم أساتذتهم في هذه العلوم عنهم أخذوها وعن لغتهم ترجموها وإنهم يحمدون للدهر أنّ هيّأ لهم مجاورة المسلمين بالأندلس وصقلية وشمال أفريقيا وثغور الشام حتى أخذوا عنهم ما أخذوا واقتبسوا عنهم ما اقتبسوا"[(30)]، إنّ تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات يؤكد على عالميتها وإيفائها بمتطلبات العصر وحاجاته؛ مما ينعكس على نفوس أبنائها ومتعلميها، فالشعور بمكانة اللغة العربية وآثارها في غيرها من اللغات الأخرى يخدم مسألة التوطين اللغوي وتفاعلاتها مع تشكيل الهوية وتكويناتها في بناء الحضارة العربية والإسلامية.

رسم طرق النهضة العربية وتشخيص ما يواجهها من صعوبات ومشاكل يعدّ من سنن الارتقاء والتوطين؛ لأنّ تشخيص العلة ونقاط الضعف اللغوي يسهم في التعامل الحكيم مع الواقع اللغوي ويثري تفاعلات التوطين اللغوي في نفوس المتعلمين وجمهور المخاطَبين؛ إذ يقول الإبراهيمي: "أيها الإخوان: إنّ النهضة العربية الحاضرة في الشرق مفتقرة إلى كثير من المصطلحات العلمية والصناعية. وما زلنا نقرأ من سنوات عن اهتمام قادة النهضة بهذه المشكلة ونقرأ اختلافًا في الوجهة، وهل الأصلح البحث عن مصطلحات عربية أصيلة، أو استعارة هذه المصطلحات من لغات العلم الأجنبية، وإنّ غاية ما استنجد به أصحاب الرأي الأول المعاجم اللغوية، وأعتقد أنه لو كانت الكتب العلمية والفنية التي كتبها أسلافنا موجودة بين أيدينا ولم تغلها غوائل الدهر لوجدنا فيها من هذه المصطلحات ما يفي بحاجتنا أو يقارب، ولكنها –ولا للأسف– ضاعت، وضاعت علينا بضياعها ثروة لا تقوم بمال"[31]، إنّ التعبير عن المشكلات الجوهرية وفاعلية التشخيص اللغوي تسهم في توطين اللغة العربية، وتوسع دوائرها أمام الناطقين بها، ويؤكد على عالمية مضامينها وفاعلية محاورها فتحدث الإبراهيمي عن كيفية إدارة الوافد الجديد، هل يخترع الجديد أم يستشير عيون التراث، وهذا يمثل منحى تراثيا وتجديديا، فهو ينتصر للتراثي لأنّ فيه خيرا كثيرا، إذ تعج المصنفات العربية بكم وافر من المادة اللغوية التي بحاجة إلى تصنيف وإعادة نشر بروح العصر من جديد.

ثراء اللغة العربية وقوة رسالتها المعرفية يسهم في تثبيتها في نفوس جمهور الناطقين بها فاحتوت اللغة العربية على مضامين مختلفة كونها لغة دين ولا يصح التعبد إلَّا بها، فساعد ذلك في خصوبة مضامينها وسعة انتشارها بين الأمم والشعوب التي دخلت الدين الإسلامي، فكون اللغة من مشكِّلات الهوية الإسلامية يمثل محوراً مهماً في عملية التوطين اللغوي وأولوياتها الضرورية وحاجاتها الملحة في المجتمعات البشرية والإنسانية، إذ يقول الإبراهيمي: "إنّ الأمم التي دخلت في الإسلام متفاوتة الدرجات في الانفعالات النفسية وأنماط التفكير، متفاوتة في الإدراك والذكاء، متفاوتة في القابلية والاستعداد، متفاوتة في التصوير والتخيّل، ولكنّ اللغة العربية فتحت عليها آفاقًا جديدة في كلّ ذلك ما كانت تعرفها لولا العربية، ودفعتها بما فيها من قوة وبما لها من سلطان إلى التفكير والتعقّل على

منهج متقارب، وحفزت الأفكار الخامدة إلى التحرّك وزادت الأفكار المتحرّكة قوة على قوة"[32]، فالنظر إلى الجانب الموضوعي للغة العربية وما يحمله الآخر عند اكتسابه لها يعد نقلة نوعية في تدعيم أسس التوطين اللغوي الواعي في سلوك أبناء المجتمعات العربية والإسلامية؛ مما يثبت الدعائم ويقوي الوشائج بين اللغة ومضامينها الروحية والدينية والحضارية، ويبرهن ذلك على فاعلية آلية الحديث من منحى ديني يثبت اللغة العربية ويشجع من تعلمها وإتقانها بشكل دقيق ومن منطلق حضاري على اعتبار الدين واللغة من مكونات الشخصية الحضارية العالمية.

عمق الإحساس بالمسؤولية اللغوية من أسس التوطين اللغوي في فكر الإمام الإبراهيمي، فهو يتحدث من منطلق أخوي وشعور جمعي عميق بما يثبت أهمية اللغة العربية ومحوريتها في الإعداد الفكري والثقافي لأمة العرب والمسلمين، وبما يؤكد مركزية المسؤولية والشعور بها حيال توطين اللغة العربية في نفوس العرب والمسلمين والاعتزاز بها؛ بما يرفع من قيمة الانتماء اللغوي وضرورة رفع درجته في النفوس التواقة للتحضر والتمدن، فاللغة أساس حضاري ومدني متين به تشيد الأمم حاضرها ومستقبلها، يقول الإبراهيمي: "أيها الإخوان: إنّ اللغة العربية هي التي قاربت بين الفكر الفارسي المنفعل القلق وبين الفكر البربري الرصين الهادئ ثم هيأت لكلّ فكر قابليته، واللغة العربية هي التي سهّلت لهذه الأمم المختلفة أسباب العلم والمدنية ومهّدت لها الطرائق المؤدية إليهما حتى أخذت كلّ أمة حظها منهما واللغة العربية هي التي أفضلت على علماء الإسلام بكنوزها ودقائقها وأسرارها، وأمدّتهم بتلك الثروة الهائلة من المصطلحات العلمية والفنية التي تعجز أية لغة من لغات العالم عن إحضارها بدون استعانة واستعارة. فبحثوا في كلّ علم وبحثوا في كلّ فن وملأوا الدنيا مؤلفات ودواوين"[33]، يبرهن هذا القول على الاعتزاز بالمنتج اللغوي التراثي لأمة العرب والمسلمين؛ مما يساعد على الاستفادة من التجارب الحصرية التي خاض غمراتها القدماء لكي يكونوا خير خلف لخير سلف، ويستفيدون من الأدوات والوسائل المنهجية التي ابتكروها واقترحوا رسومها وحدودها، ففهم المقصد والتعمق والتبصر فيه من أولويات تدعيم الكفاية التخصصية اللغوية مما ينتج أداء لغويا يضمن فاعلية آثار التوطين اللغوي وإنتاجاته في نفوس أبناء المجتمعات العربية والإسلامية.

يتّضح مما سبق أنّ الإمام الإبراهيمي يمتلك فكراً لغوياً تفاعلياً، وهذا الفكر له توجهاته في الثقافة اللغوية وتفاعل دوائرها التخصصية عبر المعارف والعلوم والفنون والآداب، وثمة إشارة محورية إلى انتصار الإبراهيمي لتأصيل العلوم والمعارف وما هو جديد من منظور معرفي تراثي يبحث في الجذور العربية والإسلامية لمختلف الظواهر، فهو متشرب الفكر الحضاري لأمة العرب والمسلمين، فرسم بأقواله وتصريحاته ومرجعياته وآلياته سُبلاً تفاعلية في عملية التوطين اللغوي وتشكيل الهوية الحضارية لأبناء الشعوب والمجتمعات العربية والإسلامية، ولقد رسم ذلك أسساً عُظمى أمام تحقيق النهضة العربية.

النتائج والتوصيات

اشتمل هذا البحث على كثير من التحليلات حول توطين الهوية اللغوية وبناء الوعي في فكر محمد البشير الإبراهيمي، وتوصل إلى مجموعة من النتائج والتوصيات من أهمها:

أولاً: النتائج.

1. قدَّم الإمام محمد البشير الإبراهيمي ممارسات ذات بعد في التوطين اللغوي مبنية على أسس تنويرية واستنهاضية تخدم الكفاية اللغوية عبر إثراء جانب المعرفة والفهم اللغوي الواعي، وتسهم في فاعلية الأداء اللغوي عبر الأنشطة والدروس.
2. ارتبطت مرجعيات بناء الوعي اللغوي بمشكِّلات الهوية الحضارية عبر الدين والمجتمع والتاريخ القومي والتعليم والسياسة، وتتوج ذلك بتيار العوربة الذي يوازي العولمة في فكر محمد البشير الإبراهيمي.
3. تنوعت آليات التوطين اللغوي وآفاق بناء الفكر الواعي في ممارسات الإبراهيمي، وتشابكت مع مناحٍ مختلفة تمثل الحاجات الراهنة والتطلعات المستقبلية في تلك الحقبة الزمانية.
4. تمثلت أطروحات الإمام الإبراهيمي بمعطيات فكرية لها توجهاتها في ظلّ وجود ساحة وصراع وتحد لغوي وثقافي متعدد الجوانب جرّاء وجود قوة استعمارية غاصبة.
5. اهتم الإمام الإبراهيمي بالرابط التراثي وإبراز الجوانب التفاعلية للحضارة العربية والإسلامية وما استفاده الآخر منها؛ ويعدّ ذلك من مقومات إعادة فهم الذات

والشخصية اللغوية والحضارية أمام التغيرات الرّاهنة ومحاولات التذويب والتشويه والتغريب التي يتعرض لها أبناء المجتمعات العربية والإسلامية.

ثانياً: التوصيات.

1. ضرورة دراسة المرجعيات الفكرية عند الإمام الإبراهيمي، وتحليلها في ضوء التجارب الحضارية المعاصرة.
2. التعرف على جهود الإمام الإبراهيمي في المعطيات اللغوية وما تضمنته إنتاجاته من إشارات لغوية ذات تعالقات آنية ومستقبلية تحمل استشرافاً للواقع العربي والإسلامي بشكل عام.

الهوامش والإحالات

(1)– تغريب اللسان العربي وأثره على الانتماء في فكر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، مالك عوادي، مجلة أبوليوس، عدد5، جوان، الجزائر 2016م، ص177.

(2)– آثار الإمام الإبراهيمي 261/5.

(3)– عبد الحميد بن باديس – رائد الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة، محمد عثمان، دار القلم الكويت، 1978م، ص69.

(4)– الأطر المعرفية في المنجزات اللغوية والأدبية الجزائرية مدونة عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي أنموذجاً، مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية، مجلد3، عدد2، الجزائر 2020م، ص255.

(5)– آثار الإمام الإبراهيمي 206/3.

(6)– مظاهر الإصلاح في مقالات عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي، بالولي أحلام، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، مجلد6، عدد 15، ديسمبر، الجزائر 2018م، ص214 وأهم خصائص الكتابة الأدبية عند محمد البشير الإبراهيمي وروافدها، البشير خذير، مجلة التواصلية، مجلد 6، عدد 18، ديسمبر، الجزائر 2020م، ص439.

(7)– آثار الإمام الإبراهيمي 294/5.

(8)– اللغة هوية ناطقة من منظور جديد يمزج اللغة بالهوية والحياة، عبد الله البريدي، المجلة العربية. عدد 197، الرياض 1434هـ، ص26.

(9)– آثار الإمام الإبراهيمي 236/1.

(10)– تاريخ الجزائر الثقافي(1830–1954م)، أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، ط1، الجزائر، 8/ص21.

(11)– آثار الإمام الإبراهيمي 375/1.

(12)– آثار الإمام الإبراهيمي 374/1.

(13)– آثار الإمام الإبراهيمي 374/1.

(14)– آثار الإمام الإبراهيمي 206/3.

(15)– أسس الوطنية ومعالمها ومقوماتها في فكر ابن باديس والإبراهيمي، مسعود فلوسي والطاهر براخلية مجلة الدراسات الإسلامية، عدد 9، جوان الجزائر، 2017م، ص518.

(16)– جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة والوطنية الجزائرية، مازن مطبقاني، دار بني مزغنة الجزائر 2015م، ص83.

(17)– آثار الإمام الإبراهيمي 134/1.

(18)– آثار الإمام الإبراهيمي 134/1.

(19)– آثار الإمام الإبراهيمي 295/5.

(20)– جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد الهاشمي، مؤسسة المعارف، بيروت 352/2 وفي الأدب الحديث، عمر الدسوقي، دار الفكر العربي، القاهرة 2000م، 50/2.

(21)– بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي، أحلام بالولي، رسالة ماجستير، جامعة العقيد آكلي محند أولحاج، الجزائر، ص77.

(22)– آثار الإمام الإبراهيمي، 295/5.

(23)– آثار الإمام الإبراهيمي 133/1.

(24)– آثار الإمام الإبراهيمي 153/1.

(25)– آثار الإمام الإبراهيمي 265/5.

(26)– آثار الإمام الإبراهيمي 376/1.

(27)– الخطاب الحجاجي في المقالات الإصلاحية لمحمد البشير الإبراهيمي– مقاربة لغوية دلالية، محمد عطا الله، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، الجزائر 2012م، ص20.

(28)– آثار الإمام الإبراهيمي 263/5.

(29)– آثار الإمام الإبراهيمي 376/1.

(30)– آثار الإمام الإبراهيمي 377/1.

(31)– آثار الإمام الإبراهيمي 379/1.

(32)– آثار الإمام الإبراهيمي 378/1.

(33)– آثار الإمام الإبراهيمي 378/1.